

الفصل الثاني

في كيفية نزول القرآن وما يتعلق بذلك وفيه مسائل

المسألة الأولى

قال الله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن. وتعالى أنا أنزلناه
في ليلة القدر

اختلف في كيفية انزال القرآن على ثلاثة أقوال

أحدها انه نزل الى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة ثم نزل بعد
ذلك منجما في عشرين سنة أو في ثلاث وعشرين سنة أو في خمس وعشرين
سنة. على حسب الاختلاف في مدة اقامته صلى الله عليه وسلم بمكة بعد البعثة.

القول الثاني أنه نزل الى سماء الدنيا في عشرين ليلة قدر من عشرين
سنة وقيل في ثلاث وعشرين ليلة قدر من ثلاث وعشرين سنة وقيل في
خمس وعشرين ليلة قدر من خمس وعشرين سنة في كل ليلة ما يقدر الله

تعالى انزاله في كل السنة ثم نزل بعد ذلك منجما في جميع السنة

وهذا القول ذكره العلامة فخر الدين الرازي بمثلما فقال يحتمل انه كان
ينزل في كل ليلة قدر ما يحتاج الناس الى انزاله الى مثلها من اللوح الى سماء
الدنيا ثم توقفت هل هذا هو أول أو الاول وهذا الذي جعله احتمالا نقله

القرطبي عن مقاتل بن حيان. ومن قال بقول مقاتل الحلبي والماوردي
ويوافقه قول ابن شهاب: آخر القرآن عهدا بالعرش آية الدين

القول الثالث أنه ابتداء انزاله في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجما في

أوقات مختلفة من سائر الاوقات وبه قال الشعبي وغيره
والقول الاول أشهر واليه ذهب الاكثرون ويؤيده ما رواه الحاكم في
مستدرته عن ابن عباس انه قال أنزل القرآن جملة واحدة الى سما الدنيا في
ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة قال الحاكم : صح على شرط
الشيخين ، وأخرج النسائي في التفسير من جهة حسان عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس انه قال فصل القرآن من الذكر الى بيت العزة جملة . واسناده
صحيح . وحسان هو ابن أبي الاشمرس وثقه النسائي وغيره ، وأخرج الطبراني
عن ابن عباس أنه قال أنزل القرآن في ليلة القدر في شهر رمضان الى سما
الدنيا جملة واحدة ثم أنزل نجوما . واسناده لا بأس به

﴿ تنبيه ﴾

كان بين نزول أول القرآن وآخره عشرون سنة أو ثلاث وعشرون سنة
أو خمس وعشرون سنة . وهو مبني على الاختلاف في مدة اقامته صلى الله عليه
وسلم بمكة بعد البعثة فقبل عشر وقيل ثلاث عشرة وقيل خمس عشرة . ولم
يختلف في مدة اقامته بالمدينة أنها عشر ، وكان كلما أنزل عليه شيء من القرآن
أمر بكتابته . ويقول في مقترقات الآيات : ضموا هذه في سورة كذا

المسألة الثانية

قد تبين من استقراء الاحاديث أن القرآن كان ينزل بحسب الحاجة
خمس آيات وعشر آيات وأكثر وأقل . وقد صح نزول عشر آيات في
قصة الافك جملة . وصح نزول عشر آيات من أول المؤمنين جملة . وصح
نزول غير أولي الضرر . وحدها . وهي بعض آية . وكذا قوله وان ختم عيلة

الى آخر الآية نزلت بعد نزول أول الآية . وهي بعض آية
وقال النكراوي في كتاب الوقف كان القرآن ينزل مفرقا . الآية والآيتين .
والثلاث . والاربع . وأكثر من ذلك

وأما ما أخرجه ابن عساكر من طريق أبي نضرة انه قال كان أبو سعيد
الخدري يعلمنا خمس آيات بالعداة وخمس آيات بالعشي ويخبر أن جبريل
نزل بالقرآن خمس آيات خمس آيات فان معناه ان صح لقاءه الى النبي صلى
الله عليه وسلم بهذا القدر حتى يحفظه ثم يلقى اليه الباقي لانزاله بهذا القدر
خاصة ، ويوضح ذلك ما أخرجه البيهقي عن خالد بن دينار قال قال لنا
أبو العالية تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات . فان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يأخذه من جبريل خمسا خمسا

وقال بعض العلماء من القرآن ما نزل مفرقا ومنه ما نزل جمعا . ومن الاول
غالب القرآن

ومن أمثله في السور القصار اقرأ . أول ما نزل منها . الى قوله ما لم يعلم
والضحى . أول ما نزل منها الى قوله قترضى

ومن أمثلة الثاني سورة الفاتحة والاخلاص والكوثر وتبت ولم يكن
والنصر والمودتان ومنه في السور الطوال والمرسلات

ومن ذلك سورة الانعام فقد أخرج أبو عبيد والطبراني عن ابن عباس
أنه قال نزلت سورة الانعام بمكة ليلا جملة حولها سبعون الف ملك

لكن قال ابن الصلاح في فتاويه : الحديث الوارد في أنها نزلت جملة
رويناه من طريق أبي بن كعب وفي اسناده ضعف ولم نر له اسناداً صحيحا .
وقد روي ما يخالفه فروي أنها لم تنزل جملة واحدة بل نزلت آيات منها بالمدينة

اختلفوا في عددها فقيل ثلاث وقيل ست وقيل غير ذلك
وأخرج الحاكم والبيهقي من حديث جابر أنه قال لما نزلت سورة الانعام
سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : لقد تبع هذه السورة من
الملائكة ماسد الافق . قال الحاكم صحيح على شرط مسلم لكن قال الذهبي
فيه انقطاع وأظنه موضوعاً

﴿ تنبيه ﴾

قال العلامة أبو شامة في المرشد الوجيز في علوم تتعلق بالقرآن العزيز :
فان قيل ما السر في نزوله الى الارض منجما . وهلا نزل جملة كسائر الكتب .
قلنا هذا سؤال قد تولى الله تعالى جوابه . فقال تعالى : وقال الذين كفروا
لولا نُزِّلَ عليه القرآن جملة واحدة . يعنون كما أنزل على من قبله من الرسل
فأجابهم تعالى بقوله : كذلك . أي أنزلناه كذلك مفرقا . لثبت به فؤادك
أي لتقوي به قلبك فان الوحي اذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى للقلب
وأشد عناية بالمرسل اليه . ويستازم ذلك كثرة نزول الملك اليه وتجدد المهدي به
وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجانب العزيز . فيحدث له من السرور
ما تقصر عنه العبارة . ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثرة لقياء فيه
لجبريل وقيل معنى لثبت به فؤادك لتحفظه فانه عليه السلام كانت أميّا
لا يقرأ ولا يكتب ففرق عليه ليتيسر عليه حفظه بخلاف غيره من الانبياء
فانه كان كاتباً قارئاً فيمكنه حفظ الجميع اذا نزل جملة

وقال ابن فورك قيل أنزلت التوراة جملة لانها نزلت على نبي يكتب
ويقرأ وهو موسى وأنزل الله القرآن مفرقا لانه أنزل غير مكتوب على نبي

أمي ؛ وقال غيره إنما لم ينزل جملة واحدة لان منه التاسخ والمنسوخ ومنه ما هو
 جواب لسؤال ومنه ما هو انكار على قول قيل أو فعل فعل
 وقد أنكر بعض العلماء كون سائر الكتب أنزلت جملة واحدة . وقال انه
 لا دليل عليه وإن الصواب انها نزلت مفرقة كالتقرآن ، ولم يرعه كون ذلك خلاف
 المشهور عند الجمهور وكان هذا المنكر ممن له يد طولى في معرفة أحوال
 الكتب الاولى

المسألة الثالثة

قال العلامة الطيبي " لعل نزول القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم ان
 يتلقاه الملك من الله تعالى تلقأً روحانياً أو يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به
 الى الرسول فيلقيه عليه

وقد اختلف في المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم ما هو على ثلاثة أقوال
 أحدها أنه اللفظ والمعنى وان جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ ونزل به
 والثاني ان جبريل انما نزل بالمعاني خاصة وانه صلى الله عليه وسلم علم
 تلك المعاني وعبر عنها بامه العرب وتمسك قائل هذا بظاهر قوله تعالى نزل به
 الروح الامين على قلبك

والثالث ان جبريل اتى اليه المعنى وان عبر عنه بلغة العرب بهذه
 الالفاظ وان أهل السماء يقرؤونه بالعربية ثم انه نزل كذلك بعد ذلك
 وقال البيهقي في معنى قوله تعالى انا أنزلناه في ليلة القدر يريد والله أعلم
 انا أسمعنا الملك وأفهمناه اياه وأنزلناه بما سمع فيكون الملك متقلبا به من
 علو الى أسفل

ويؤيد أن جبريل تلقفه سماعاً من الله تعالى ما أخرجه الطبراني من حديث النّوّاس بن سمان مرقوعاً - إذا تكلم الله بالوحي أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله - فإذا سمع بذلك أهل السماء صعدوا وخرّوا سجداً فيكون أولهم يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله بوجهه بما أراد فينتهي به على الملائكة فكلماً مرّ بساء سألهم أهلها ماذا قال ربنا قال الحقّ فينتهي به حيث أمر وقال الجويني : كلام الله المنزل قسماً - قسم قال الله لجبريل قل للنبي الذي أنت مرسل إليه ان الله يقول افعل كذا وكذا وأمر بكذا وكذا ففهم جبريل ما قاله ربه ثم نزل على ذلك النبي وقال له ما قاله ربه ولم تكن العبارة تلك العبارة ، كما يقول الملك لمن يشق به قل فلان يقول لك الملك اجتهد في الخدمة واجمع جندك للقتال ، فان قال الرسول يقول الملك لانتهاون في خدمتي ولا تترك الجند يتفرق وحثهم على المقاتلة لا ينسب الى كذب ولا تقصير في أداء الرسالة وقسم آخر قال الله لجبريل اقرأ على النبي هذا الكتاب فنزل جبريل به من الله من غير تغيير كما يكتب الملك كتاباً ويسلمه الى أمين ويقول اقرأه على فلان فهو لا يغير منه كلمة ولا حرفاً ولا يخفى ان القسم الثاني هو القرآن وان القسم الاول هو السنة وقد ورد ان جبريل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن وقد تبين بما ذكره من جواز رواية السنة بالمعنى وعدم جواز رواية القرآن بالمعنى وذلك لان السنة أداها جبريل بالمعنى وأما القرآن فانه أداء باللفظ ولم يبح له ايماءة بالمعنى وذلك لاعجازه واشتمال كل كلمة منه على معان لا يحاط بها كثرة وقد خفف الله على الامة حيث جعل المنزل اليهم على قسمين - قسم يروونه بلفظه الموحى به - وقسم يروونه بالمعنى ، ولو جعل كله مما يروى باللفظ لشق ذلك عليهم أو بالمعنى لم يؤمن فيه التبديل والتحرير

ثمة

قال بعض المتكلمين على طريقة السلف: قد فسر كثير من الناس النزول في مواضع من القرآن بغير معناه المعروف لاشتباه وقع لهم في تلك المواضع فصار ذلك حجة لمن فسر نزول القرآن بتفسير المتكلمين من الخلف ، فان منهم من يقول المراد بانزال القرآن اظهاره في مكان عال ثم انزال الملك به ثم ذلك المكان ، ومنهم من يقول المراد بانزاله اعلام الملك به و إفهامه اياه ثم انزاله بما فهمه ، ومنهم من يقول غير ذلك .

وقد اقتضى الحال ان نبين حقيقة الامر فنقول : النزول في كتاب الله عز وجل ثلاثة أنواع - نوع مقيد بأنه من الله سبحانه - ونوع مقيد بأنه من السماء - ونوع غير مقيد لا بهذا ولا بهذا

أما النوع الاول وهو النزول المقيد بأنه من الله سبحانه فلم يرد الآ في القرآن - قال تعالى والذين آتيناكم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق - وقال تعالى - حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم - فالقرآن منزل من الله تعالى وهو كلامه لا كلام غيره ولا يجوز اطلاق القول بأنه عبارة عن كلامه - واذا قرأه الناس لم يخرج بذلك عن ان يكون كلام الله لان الكلام انما يضاف حقيقة الى من قاله مبتدئاً لا الى من قاله مبلغاً مؤدياً

وأما النوع الثاني وهو النزول المقيد بأنه من السماء فكقوله تعالى وانزلنا من السماء ماء - والسماء اسم جنس لكل ما علا فهو مطلق في العلو وقد بينه في موضع آخر فقال أنتم انزلتموه من المزن - فعلم انه منزل من السحاب

وأما النوع الثالث وهو النزول المطلق فكقوله تعالى هو الذي أنزل

السكينة في قلوب المؤمنين - الى غير ذلك